المسألة الأولى

فى العلم والإرادة

فكان أول ما قاله وابتدأ به من السؤال، وافتراه من الضلال، أن قال: سَل القدريةَ، أهل الفراء والكذب على الله، عز وجل.

● **الرد عليه فى ادعائه أن أهل العدل هم القدرية:**

فنحن نقول رادين عليه: على القدرية، وأهل الكذب والفراء على الله، لعنة الله، ولعنة اللاعنين [1]، والملائكة والناس أجمعين.

ثم قال: أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه قبل أن يخلقهم؟

فإن قالوا: بلى. فسألهم: هل أراد الله أن يكون بينهم غير ما علم أنه كائن منهم؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس قد أراد أن يكون غير ما علم، وكره أنْ يكون ما يعلم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فأخبرونى عمن أراد وأحبَّ أن يكون غير ماعلم إلهٌ هو؟!..

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس إلهكم يحبُ ويريد أن يكون فى سلطانه ما لا يعلم، ولا يريد أن يكون ولا يحب أن يكون الذى يعلم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فإنكم تصفون إلهكم أنه يريد أن يكون جاهلاً لا يعلم!!.. وسينقطع كلامُهم، ها هنا، وينقطع الجواب فيه.، ويركبون فيه ما يدخلهم فى الشرك بالله العظيم؛ لأنه من زعم أن الله يجب أن يكون جاهلاً، فهو مشركٌ، وهو يُخرجُهم- إن أجابوا فيه - إلى غير منتهى قصد [2] أهل القبلة.

وإن قالوا: لم يحب، ولم يرُدْ أن يكون غيرما يعلم، وإنما أراد وأحب أن يكون ما يعلم أنه كائن، فقد أراد وأحب أن يكون المؤمن مؤمناً والكافر كافراً، كما علم. وهذا هو قولنا، وليس لهم من أحد الوجهين بدٌّ، فليركبوا ما شاءوا منهما.

---

(١) فى الأصل: اللاعنون، ولعله قصد سبه، فقال: ولعنه اللاعنون.

(٢) هكذا جاءت فى الاصل: قرد.

• جواب الناصر على المسألة الأولى :

الجواب، قال الناصر للحق أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما، سألتَ فقلتَ: أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه ، قبل أن يخلقهم؟ . .

• علم الله غير المعلومات :

٤ و – **فقولنا** : إن الله ، تبارك وتعالى . هو الأول قبل / كل شئ من خلقه، ولم يزل عالماً بجميع الأشياء من قبل كونها أنها ستكون، وعلم الله، عز وجل، للأشياء هو غير المعلومات؛ لأن العلم من صفات الذات، والمعلومات من صفات الفعل، وهو غير العلم.

• علم الله بأفعال عباده لا يعنى خلقه لها :

والله ، عز وجل، العالم بنفسه لا بعلم هو غيره، وليس علمه لشئ غيره، والأشياء كلها هى غير الله، عز وجل، فلما أحدث الأشياء التى أحدثها هو، مما تولى صنعه ليس ما أحدث العباد، صار علمه محيطاً بما أحدث العباد باختيارهم مما كرهه [١] ، ولم يرضه ولم يخلقه من فعلهم واكتسابهم، وقد علم، جل ثناؤه، قبل أن يحدث الأشياء ما يكون قبل أن يكون، فلم يزدْهُ ذلك علماً لم يكن يعلمُهُ، ولم ينقصه عن علم شئ قد علمه، ولم يكلف الله، عز وجل، خلقه إبطال علمه المحيط بهم ولا الخروج منه؛ لأنه ليس إلى ذلك سبيل، إلا أن يكون لهم سبيل إلى الخروج من بين السموات والأرض، وهو كله محال لا يكون.

• علم الله محيط بخلقه :

فالعلم محيط بالخلق، كإحاطة السموات بالأرض [٢] ، والسموات والأرض لم يشركن فى أفعالهن [٣] من الخير والشر بقليل ولا كثير ، لأذاً زنوا وسفكوا الدماء وانتهكوا المحارم، وعبدوا الأصنام، وكفروا بالرحمن، وفعلوا الجور كله، وفعلوا الطاعة

---

(١) فى الأصل : كرهه .

(٢) فى الأصل : والأرض.

(٣) فى الأصل : افالهم.

كلها ، ولا يجوز أن يكون للسموات والأرض فى فعلهم فعل، ولا نشركُهم بخردلة فما فوقها.

• علم الله كاشف وليس فاعل :

وكذلك العلم محيط بهم، لايشركهم فى فعلهم، بقليل ولا كثير، ولا بمقياس خردلة فما فوقه؛ لأن العلم لا يدخلهم فى معصية، ولا يخرجهم من طاعة، ولا يحملهم على محبوب ولا مكروه، ولا حق ولاباطل.

• لا يكلف الله أحداً من خلقه الخروج من علمه :

وفى باب العلم، جاء غلطُ من غَلَطَ من هذه الأمة، وهلاك من هَلَكَ، وإجبار من أجبر، وإلحاد من الحد فى صفة الله، جل ثناؤه، من هذه المجرة الظلمة، فكفروا من حيث ظنوا أنهم آمنوا، وإنما كلفهم اللهُ، عز وجل، الخروج من ذنوبهم، وافترض ذلك عليهم فرضاً لازماً جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وجرت به السنن، وسفكت الأنبياء، صلوات الله عليهم، عليه الدماء، «وضربوا عليه الأعناق» [1] وقتلوا وشرِّدوا، ولم يكلف الله ، تبارك وتعالى، أحداً من جميع الخلق، الخروج من علمه، وليس ما افترض عليهم، من الخروج من ذنوبهم، هو الخروج من العلم.

• طلب منهم الخروج من المعاصى :

وإبطالُ المعاصى والخروج منها، ليس هو إبطالُ لعلم الله، عز وجل ، ولا بخارج منه، فقد احتجوا على الله، تبارك وتعالى، بالمحال، وأرادوا أن يدخلوا فى العلم ٤ ظ/ دخولاً؛ ليثبت لهم القول بالجبر ، وأبى الله ، عز وجل ، ذلك؛ لأن حجته الغالبة، وحقه القاهر / وكتابه الواضح.

فإن زعموا أنَّ الخروجَ من الكفر ، هو الخروج من العلم، لزمهم أن الله، عز وجل، قد افترضَ على العباد الخروج من علمه !.. وإن كرهوا هذا القول، وخافوا أن يقدموا عليه، لزمهم أن الله، جل ثناؤه، افترض على العباد الخروج من الكفر، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم، وهذا هو الحق، وفيه قطعهم، وهو قولنا.

---

(١) زيادة من الهامش.

• **هل أراد الله أن يكون فى سلطانه غير ما يعلم :**

وأما قولك : أخبرنى عمن أرادَ وأحب أن يكون فى سلطانه غير ما يعلم، إلهٌ هو؟!.. فإن قلنا ذلك، زعمت بأنه يريدُ أنه يكون جاهلاً لا يعلم، وأنا ننقطع - زعمت ها هنا.

• **جـــواب الناصـــر :**

الجواب، **قال الناصر للحق أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما :-

فإنا نقول لك : أليس من جهلك بالدين، وغلطك فى العدل، أنك لم تعلم ما فى القرآن ولا تلاوة الفرقان، إذ كان فى سلطان الله ، عز وجل، وفى خلقه من زعم أن له الأولاد والصواحب والشركاء والأنداد، وهو عندنا نحن فى قولنا : إنه لا يريدُ ذلك ، ولا يحبه، ولا يقضيه، ولم يخلقه، ومن قولكم أنتم، أيها **المجبرة** ، أنه أراد ذلك من المشركين وأحبه، وخلقه من فعلهم!

فقد أكذبكم الله بقوله، عز وجل، ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾** ﴾ (١) .

فالله، عز وجل، لا يعلم له شريكاً ولا ولداً ولا صاحبة ولا نداً ، وقد جعلها له المشركون وسموها أشياءَ.

وزعمت، **ياعبد الله بن يزيد البغدادى**، أنت ومن قال بقولك، أن الله، عز وجل، خلقَ ذلك من فعلهم وقولهم وقضاه وأراده منهم، وأحبه منهم، وهذا قول الله ، عز وجل ، يشهد أنه لا يعلم ما قالوا ، وأنه كاره لقولهم ، وأنه لم يرده ولم يقضه، فإن قلت غير ذلك، لزمك أنه أراد منهم، وخلق فيهم فعلاً وقولاً لا يعلمه، فيوجب أن له إرادة لا يعلمها!..

وقد قال فى كتابه : ﴿ **قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾** ﴾ (١) ، وكفى بهذه الحجة قاطعة وناقضة لقولك، وقال، عز

---

(١) سورة يونس: الآية ١٨

وجل: ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [٢] فنقول لك: أخبرنا عن قوله، عز وجل، «بغير علم» أتقرُّ بما قال الله، سبحانه، أنهم قالوا هذا القول فيه «بغير علم»؟!..

فإن قلت: نعم. سألناك عن ذلك العلم الذى عَنى الله، عز وجل، أهو الأمر الذى خلق من فعل العباد وقضاه عليهم وأراده منهم؟..

فإن قلت: نعم. وجب عليك أن الله، عز وجل، قد أبطله، فإنه «غير علم»، ٥ و / **وإن قلت**: إنه عَلِمَ رددت على الله، جل ثناؤه، قوله أنه «غير علم» / وأبطلت كتابه وكذَّبته. فاختر أى ذلك شئتَ؟

ثم نقول لك: أحبَّ اللهُ من المشركين أن يقولوا: إن له ولداً أو صاحبةً وشركاء، وأنه ثالث ثلاثة؟..

فإن قلت: نعم، قد أحب اللهُ ذلك، وأراده. **قلنا لك**: فما هو، فسادٌ أم صلاحٌ؟!..

فإن قلت: إنه صلاحٌ. لزمك أن الفراء على الله، جل ثناؤه، وإضافة الصواحب والأولاد والشركاء إليه صلاحٌ!.. ومن قال هذا فهو مشركٌ.

وإن قلت: إن ذلك فساد. فذلك هو الحق، ولزمك أنَّ الله، جل ثناؤه، قال فى كتابه: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ [١]؛ **وزعمت، أنت وأصحابك، أنه يحبُ الفساد**، وفى هذا قطع حجتك، وتكذيب قولك، وإبطال دعواك.

وإن قلت: إنه خلق ذلك من فعل المشركين، ولم يحبه ولم يُرِدْهُ ولم يرضهَ.

قلنا لك: كيف يجوز فى العقل ويثبت فى الحكمة، أو يخرج فى العدل أن يخلق الخالق، عز وجل، خلقًا لا يريده ولا يرضاه ولايحبه؟!.. هذا ما لا يجوز، ولا تقبله العقول؛ **لأن الفاعل لذلك عابث، والعبث عن الحكيم منفى**.

ثم نسألك، فنقول لك: **أخبرنا عن فعل المشركين**، والذى زعمت أنه خَلْقُ الله وإرادتُه، **هل هو حسنٌ أو قبيحٌ؟**

فإن قلت: إنه حسن. زعمت، وجب عليك أن الفراءَ على الله والكفر به حسنٌ!..

وإن قلت: إنه قبيحٌ. رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل.

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٥.

فإن قال قائل منكم، أو من غيركم: فقد خلق الله المشركين وهؤلاء لا يحبهم؟..

قلنا له: إن بغضاء الله للمشركين لم يكن منه إليهم، إلا بعدما استحقوا ذلك منه، واستوجبوه لكفرهم. فأما قبل ذلك، وهم أطفال، فلا يجوز أن يبغضهم، بل يرحمهم ويجرى نعمه عليهم، ويعطف عليهم الآباء والأمهات، **وقد قال**: سبحانه، لنبيه، صلى الله عليه وعلى الله وسلم: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧) ﴾ [١].

ومن الحجة عليك أن نقول لك: هل أراد الله، عز وجل، من الخلق نفاذ ما أمر بترك ما علم، أو ترك ما أمر بإنفاذ ما علم؟.. **فإن قلت**: إن الله - تبارك وتعالى - أراد من الخلق نفاذ ما علم بترك ما أمر. لزمك أن ترك الملائكة والرسل، وجميع من أرسلوا إليه من الأمم، وما أمر الله، عز وجل، به من جميع الطاعات كلها أصلح وأوافق، وأنه أراد أن لا يرجعوا عما علم أنهم يختارون، من عبادة الأصنام والشرك وجميع المعاصى!..

• أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم:

وإن قالو: أراد الله من الخلق إنفاذ ما أمر بترك ماعلم، رجعوا عن قولهم، وصاروا ٥ ط / إلى قولنا، وفُلجت حجتهم، وذلك هو الحق، وهو قولنا / ؛ لأنَّ اللهَ، عز وجل، أراد من خلقه إنفاذ أمره، الذى جاءت به رسله وكتُبه، والدعاة إليه من أئمة الهدى، عليهم السلام، وأن يتركوا قبيح ما علم أنهم يختارونه، بأهوائهم، ويقدرون على تركه باستطاعتهم المركَّبة فيهم، ويرجعوا إلى حسن ما علم أنهم قادرون على فعله، باستطاعتهم المركبة فيهم، المخيَّرين فيها.

وقد قال، عز وجل، فى محكم كتابه ما يصدق قولنا، ويشهد بحجتنا: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** (٣٢) ﴾ [٢]، لعلمه أنهم يقدرون على ترك الزنا، ثم قال، عز وجل، ﴿ **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم** ﴾ [٣]، لعلمه أنهم يقدرون على ذلك، ومعهم عليه الاستطاعة والقوة.

***

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٢

(٣) سورة الزمر: الآية ٥٥